الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي
دراسة في المفهوم وآلية البحث
Linguistic communities from the perspective of social linguistics science
Concept study and search mechanism

د. عبد القادر علي زروقي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية –وحدة ورقلة– (الجزائر)
aalizerroukiabdelkader@yahoo.fr

الملخّص:

يروم موضوع البحث التطرّق إلى مفهوم الجماعات اللسانية من منظور اللسانيات الاجتماعية، حيث سأتناول فيه أهم التعاريف عند أبرز علماء اللغة الاجتماعيين كاشفًا في كل مرّة عن ما يخفيه هذا المصطلح من معان ودلالات متعدّدة ومختلفة من حين لأخر، كما سأتطرّق فيه أيضًا إلى أهم الآليات والإجراءات التي يعتمد عليها في ميدان الدراسة. ولأنّ البحث في هذا الموضوع –أراه- أمرًا ضروريًا في معرفة التباين اللغوي الذي يميّز جماعة لغوية ما على أخرى في رقعة جغرافية محدّدة، فإنّني أرى أنّه لا مناص من دراسته والخوض فيه بغية الوصول إلى ضبط مفهومه وتحديد نطاقه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يهدف البحث إلى دراسة أهم المعايير والمتغيّرات التي يرتكز عليها علم اللغة الاجتماعي في رصد أهم التغيّرات اللغوية التي تميّز الجماعات اللسانية.

الكلمات المفاتيح: جماعة اللسانية، لهجة، علم اللغة الاجتماعي، لغة، تواصل، تباين لغوي.

Résumé:

Le sujet de recherche traite le concept de la communauté linguistique du point de vue sociolinguistique. Les définitions les plus importantes chez les principaux scientifiques sociaux linguistes sont abordées, afin de révéler chaque fois ce que cache le terme de ses diverses significations et ses différents signes, de temps en temps. Nous aborderons également les mécanismes et les procédures les plus importants à adopter dans le domaine d'étude. Puisque la recherche dans ce sujet est nécessaire pour connaître la variation linguistique qui caractérise une communauté linguistique par rapport à une autre, dans une zone géographique spécifique, nous pensons qu'il est indispensable de l'étudier d'une façon approfondie pour aboutir à une compréhension et une définition de son champ d'application d'une part. D'autre part, l'étude vise à étudier les critères et les variables les plus importants sur lesquels se base la science linguistique sociale pour surveiller les changements linguistiques les plus importants qui caractérisent les communautés linguistiques.

Mot clés: Communauté linguistique, dialecte, sociolinguistique, langue, communication.

Abstract

The research topic deals with the concept of the linguistic community from a sociolinguistic point of view. The most important definitions of the linguistic social scientists are discussed, in order to reveal each time what the term of its various meanings and its different signs hide from time to time. We will also discuss the most important mechanisms and procedures to be adopted in the field of study. Since the research in this subject is necessary to know the linguistic variation that characterizes a linguistic community compared to another, in a specific geographical area, we think that it is indispensable to study it in a thorough way to arrive at an understanding and a definition of its application field on hand. On the other hand, the study aims to study the most important criteria and variables on which the social linguistic science is based to monitor the most important language changes that characterize linguistic communities

key words: Linguistic community, dialect, social linguistics, language, communication.

تمهيد:

يعد مصطلح الجماعة اللسانية من المصطلحات الشائعة الاستخدام في اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistique)، فهو يعد القاعدة الأساسية لعالم اللغة الاجتماعي في رصد وتحليل الظواهر اللغوية والاجتماعية في رقعة جغرافية معيّنة، وعليه فالإحاطة بمفهوم الجماعة اللسانية وتحديدها ومعرفتها حقّ المعرفة ليس مفيداً فحسب، بل هو أمر لا مفر منه في مجال هذا التخصص (السوسيوليسانيات)، فبمجرّد أن يتم تصوّر اللغة على أنّها أداة للتواصل تتكيّف واحتياجات الجماعة (الأفراد) التي تستخدمها، يتولّد تواصل، الذي يعني الجماعة.

وقبل الحديث عن الجماعة اللسانية ارتأينا أن نتناول بعض المفاهيم الهامة التي ستساعدنا في تحديد وسبر أغوار هذا المصطلح.

1/ مدخل عام:

1- مفهوم علم الاجتماع (Sociologie):

هو ذلك العلم الذي يعنى " بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية. إنّه مشروع مذهل وشديد التعقيد لأنّ موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية، ومن هنا فإنّ نطاق الدراسة الاجتماعية يتّسم بالاتّساع البالغ، ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة، واستقصاء العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى" (غدنز، 2005: 47)، نخلص من خلال هذا التعريف إلى أنّ علم الاجتماع علم واسع ورحب، فهو يُعنى بدراسة حياة الأفراد داخل مجتمعاتهم الضيّقة والواسعة ومن جميع النواحي الاجتماعية، إذن فهو علم يدرس السلوك الاجتماعي للأفراد، وهو يهدف " إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسّر بذلك أسبابه وتأثيراته"(فيبر، 2011: 28)، فهذا العلم تربطه علاقة وطيدة بين الفرد والسياقات الاجتماعية من خلال دراسة كل السلوكيات والممارسات التي يتصرّفها داخله، فـــــــ " فهم الطّرق العميقة الخفيّة والمركّبة التي يعيش فيها الفرد إنّما يمثّل السياقات التي تكتنف تجربتنا الاجتماعية، وهي التي تنطلق منها النظرة السوسيولوجية"(فيبر، 2011، 48).

وإذا كان لهذا العلم جوانب كثيرة وميادين مختلفة ومتفرّعة يقوم بدراستها كـــــــ (علم الاجتماع السياسي والاقتصادي والصناعي والأدبي واللغوي...)، فإنّ اللغة تعدّ وجهاً من أوجه اهتماماته، فهو يدرسها من خلال العلاقة القائمة بين هذا الثالوث المتشكّل من اللغة و الفرد (أو الأفراد) والمجتمع، ويسمى هذا العلم بعلم اللغة الاجتماعي، إذن فما المقصود بهذا العلم وما مفهومه يا ترى؟

2- مفهوم علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistique):

اللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي، أو علم اللغة الاجتماعي أو السوسيوليسانيات، مسميات اصطلاحية مختلفة لعلم يدرس اللغة في ضوء علم الاجتماع، أو يربط الملفوظ اللغوي بسياقه التواصلي والاجتماعي والطبقي، وهو فرع من فروع علم اللغة، مهمّته دراسة التنوّعات والاختلافات في لغة واحدة أو أكثر، وهو يسعى إلى فهم اللغة كما هي موجودة بالفعل، أي دراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمعات التي تكون فيها، فهي تحاول الإجابة على السؤال (من يتحدّث؟ ماذا؟ وأين ومتى؟ وكيف؟، ولماذا؟)، فعلماء اللغة الاجتماعيين (الأمريكيين) من أمثال وليام لابوف (William Labov) وفيشمان (fishman)، وشارل فارغسون (C. Fergusson) وغيرهم، يعدّون من أبرز العلماء الذين طوّروا هذا العلم من خلال مراقبة الممارسات اللغوية بين المتحدّثين في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها فأعطوا بذلك رؤية جديدة في دراسة اللغة من هذا الجانب الاجتماعي. يعرّف فيشمان هذا العلم بقوله :" علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني: استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك"

(Fishman,1972: 1)، أما علم اللغة الاجتماعي بمعناه الضيّق "فإنّه يهتم بالخطوط العامة التي تميّز المجموعات الاجتماعية من حيث أنّها تختلف وتدخل في تناقضات داخل المجموعة اللسانية العامة نفسها، والوقوف على

القوانين التي تخضع لها الظاهرة اللغوية في حياتها وتطوّرها وما يعتورها من شؤون الحياة، ومبلغ تأثّرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية التي لها تأثير على اختيار الناس اللغة، وما تحمله هذه اللغة من طوابع الحياة التي يحياها المتكلّمون، وطرائق الاستعمال اللغوي التي يكتسبها الإنسان في المجتمع"(نهر، 1998: 24).

وفي ستينيات القرن العشرين، و بالضبط بالولايات المتحدّة الأمريكية صرّح العالم السوسيوليساني لابوف أن اللسانيات الاجتماعية هي اللسانيات أو علم اللغة، لكنّه لم يتردّد في القول بأنّ بعض علماء اللغة يهملون دراسة السياق الاجتماعي، يقول: " بالنسبة لنا، هدفنا من الدراسة هو بنية وتطوّر اللغة في السياق الاجتماعي الذي شكّله المجتمع اللغوي" (Labov, 1976: 258)، فبالنسبة له لا توجد دراسة للغة ما دمنا لا نأخذ بعين الاعتبار دراسة البيئة الاجتماعية للأشخاص المتحدّثين بها، فلابوف يحاول ربط طرق الكلام مع المتغيّرات الاجتماعية، أي ربط كل متغيّر لغوي مع سبب خارج عن اللغة (Extralinguistique)، والمتمثّلة في (الطبقة الاجتماعية، الجنس، السن، الموطن، العرق، مواقف المتحدّثين، ظروف الاتصال، وما إلى ذلك...) أو ربط كل مجموعة من المتغيّرات اللغوية، إلى واحد أو أكثر من المتغيّرات الاجتماعية، وفقاً للترسيمة التي يمكن تمثيلها على النحو التالي:

لقد كان اهتمام لابوف نابعاً من اعتبار أن اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية تتأثّر بها تأثّراً كبيراً، ولقد كان محقّاً مارسيلزي (Mercellici) حين اعتقد " أنّ اللسانيات الاجتماعية تهدف إلى إعادة إدماج دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي" (Mercellici, 1980: 106)، فالعلاقة بين اللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي هي دراسة اللغة في علاقتها مع المجتمع.

3- تعريف اللغة:

أ- اللغة في الأصل اللغوي:

ذكر ابن منظور عن الأزهري قوله: "واللُّغَة مِنَ الأَسماء النَّاقِصَةِ، وأَصلها لُغْوة مِنْ لَغا إِذا تَكَلَّمَ" (ابن منظور، 2004: 250)، وقال الجوهري: "واللغة أصلها لغى أو لغو، والهاء عوض، وجمعها لغى مثل برة وبرى، ولغات أيضا. وقال بعضهم: سمعت لغاتهم بفتح التاء، وشبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء. والنسبة إليها لُغَويٌّ ولا تقل لغوى" (الجوهري، 1987: 2484)، وجاء عند ابن فارس في مادة (لَغَوَ) "اللَّامُ وَالْغَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اللَّهَجِ بِالشَّيْءِ... وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ: لَغِيَ بِالْأَمْرِ، إِذَا لَهِجَ بِهِ. وَيُقَالُ إِنَّ اشْتِقَاقَ اللُّغَةِ مِنْهُ، أَيْ يَلْهَجُ صَاحِبُهَا بِهَا" (ابن فارس، 1979: 255-256)، فمن خلال هذه التعاريف المعجمية للغة نجد أنّها تدل على الكلام والنطق.

ب- اللغة في الاصطلاح:

عرّفت اللغة بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره ابن جني في قوله: " أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، 34)، فـــــابن جني يعرض في تعريفه الموجز هذا وظيفة اللغة في المجتمع حين تعبّر عن آراء كل قوم وأغراضهم وشؤونهم الحياتية، وقد ذهب ابن سنان الخفاجي (ت 466ه) مذهب ابن جني في تعريفه للغة فهي عنده " ما يتواضع عليه القوم من الكلام"(الخفاجي، 1982: 48)، وعرّفها ابن الحاجب في قوله : "حدُّ اللغةِ كلُّ لفظٍ وُضِعَ لمعنى" (السيوطي، 1998: 12).

إنّ الملاحظ على تعريف ابن جني وابن سنان الخفاجي أنّهما نسبا اللغة إلى القوم، والقوم عندهما يعني المجتمع، وخاصة أنّ لفظ المجتمع لم تكن مستعملة في هذا المعنى الذي نعنيه الآن، وإنّما كان العرب يستعملون القوم للدلالة على الجماعة كما نفهمه في العصر الحديث (الراجحي، 1979: 71)، وبالتالي فاللغة لها علاقة بالجماعة وليس بالفرد وحده، فهي لا تكون إلا حيث يكون المجتمع، وعرّفت حديثاً على أنّها " تنظيم رموز صوتية، يتعاون بواسطتها أفراد مجتمع معيين"(الفرج، 2015: 21)، واللغة في أوسع معانيها ظاهرة إنسانية تميّز الإنسان عن بقيّة الموجودات، والجدول الآتي يوضّح الفرق بين التعريفات التراثية والحديثة للغة (الفرج، 2015: 24):

التعريفات التراثية	التعريفات الحديثة
اللغة أصوات شفاهية	اللغة نظام نحوي وصوتي ودلالي
اللغة اصطلاح ومواضعة	اللغة نظام تخالفي
اللغة نفعية	اللغة رموز
اللغة نشاط جماعي	اللغة اعتباطية/ كيفية
اللغة أصوات إنسانية إرادية	وظيفة اللغة الاتصال
	اللغة لا متناهية الجمل
	عناصر اللغة متناهية
	اللغة تنبع من مقدرة فطرية
	اللغة خاصّية إنسانية
	اللغة توصف من الكلام

4- اللهجة (Dialecte):

تعدّ دراسة اللهجات من أحدث وأبرز الاتجاهات في البحوث اللغوية الاجتماعية، فلقد تمّت دراسة اللهجات في الجامعات الأوروبية خلال القرنيين التاسع عشر والعشرون حتى أصبحت الآن عنصراً هاماً من الدراسات اللغوية الحديثة.

أ- اللهجة في الأصل اللغوي: تندرج تحت مادة (ل.ه.ج)، بالفتح والسكون، وعرفت اللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ بأنّها: " طَرَفُ اللِّسان... وجَرْسُ الكلامِ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ فصيحُ اللَّهْجَةِ واللَّهَجةِ، وَهِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فاعتادَها ونشأَ عَلَيْهَا... واللهجة اللسان" (الزبيدي: 193)، وقَوْلُهُمْ: " هُوَ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهَجَةِ: اللِّسَانُ، بِمَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ. وَسُمِّيَتْ لَهْجَةً لِأَنَّ كُلًّا يَلْهَجُ بِلُغَتِهِ وَكَلَامِهِ" (ابن فارس، 1979: 215)، "وروى فِي اللهجة سُكُون الْهَاء وَفتحهَا وَأَن الْفَتْح أفْصح" (الزمخشري: 379)، ولم يعرف الأصمعي الفتح.

ب- اللهجة في الاصطلاح: تعرّف اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث على أنّها "مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدّة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعًا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقّف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات"

(أنيس،1999: 11)، واللهجة " استعمال خاص للغة في بيئة معيّنة، ولا يكاد ينتشر استعمال لغة حتّى تتعدّد لهجاتها فتظهر لهجة الحضر إلى جانب لهجة الريف، وتتميّز لهجة الشمال من لهجة الجنوب، واللهجات وليدة ظروف مختلفة جغرافية، واقتصادية، سياسية واجتماعية.

وللبيئة والوراثة شأن في اختلاف التكوين الطبيعي لأعضاء النطق وتباين الأصوات، وللرحلة والتجارة أثر في اتصال اللهجات بأخرى... وهناك لهجات غازية تفرض سلطانها على اللهجات المغزوة. ومظاهر ذلك واضحة معروفة في الماضي والحاضر، والعلم والثقافة ينهضان ببعض اللهجات، وقد يسموان إلى مرتبة الفصحى" (تيمور، 1973: 6-7)، وتلك البيئة الشاملة التي تتألّف من عدّة لهجات، هي التي اصطلح على تسميّتها باللغة عند علماء اللغة المحدثين، " فاللغة تشتمل عادة على عدّة لهجات، لكل منها ما يميّزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلّف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات، والمحدثون من علماء اللغات يسمّون الصفات التي تتميّز بها كل لغة بالعادات الكلامية، لأنّها ليست إلا مجرّد عادات نشأ عليها أبناء هذه اللغة، وتأثّروا بها جيلاً بعد جيل حتى أصبحت طابعاً لهم يميّزهم عن غيرهم من المتكلّمين بلغات أخرى. وتلك العادات الكلامية هي عادات مكتسبة لا أثر للوراثة فيها" (أنيس، 1999: 11-12)

إنّ كلمة (لهجات) هذه التي يراد بها الآن ما يراد بكلمة (لغات) في كتب الأقدمين، والتي تقابل كلمة (Dialecte) في الفرنسية، وقد أطلق على ما يرادف كلمة (Langue) الآن كلمة (لسان) عندهم، ففي القرآن الكريم " لسَان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي "(سورة النحل، الآية: 103)، " واختلاف ألسنتكم وألوانكم" (سورة الروم، الآية: 22)، أي "اختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها" (الطبري، 2000: 20).

والعلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة الخاص بالعام، "أو ما بين الفرع والأصل" (الراجحي، 1992: 50)، وقد كان القدماء من علماء اللغة العربية يعبّرون عما يسمّيه المحدثون الآن باللهجة بكلمة (اللغة)، و(باللحن) حيناً، ويذهب عبده الراجحي إلى أنّ العرب القدماء لم يستعملوا مصطلح اللهجة على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث، بل إنّهم لم يستعملوه قط في كتبهم... وإنّما كانوا يطلقون على اللهجة (لغة) أو (لغية) (الراجحي، 1992: 50) ، أو باللحن حيناً آخر (ابن الشجري، 1991: 130).

أما الصفات التي تتميّز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها، فالذي يفرّق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان، مثل ما جاء في الكتاب عن إبدال التاء دالاً عند قبيلة تميم في قولهم ودٌّ بدل وتدٌ (سيبويه، 1988: 482)، وتتميّز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، فـــ" قد تقسّم اللهجة الواحدة إلى شعب، يلحظ الفرق بينها ذوو الملاحظة السمعية الدقيقة" (أنيس، 1999: 17)، غير أنّ اللهجة قد تتميّز أيضاً بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها، أو معاني بعض الكلمات.

5- أسباب نشأة اللهجات:

أما عن الكيفية التي نشأت بها هذه اللهجات فهي كثيرة، نذكر منها ما يلي:

أ- **الاختلاف في الظواهر الصوتية:** تختلف الأصوات (الحروف) التي تتركّب منها الكلمة الواحدة، وبالتالي تختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات، كما تختلف في الظواهر الدلالية، فيختلف معنى الكلمة باختلاف الجماعات اللسانية الناطقة بها (أنيس، 1999: 17)، أما القواعد والأنظمة سواء ما تعلّق منها بالبنية أو بالتنظيم، فلا ينالها كثير من التنظيم.

وهذا ما حدث للغة العربية قديماً، إذ انقسمت إلى لهجات متعدّدة، تختلف فيما بينها في كثير من الظواهر الصوتية والدلالية أيضاً "تبعا للقبائل المختلفة، التي تتّحد ظروفها الطبيعية والاجتماعية أو تتباين هذه الظروف، ثم أتيحت لهذه اللهجات العربية فرص كثيرة للاحتكاك، بسبب التجارة أو تجاورها بالقبائل الأخرى أو تنقّلها في طلب الكلأ والمرعى، أو تجمّعها في مواسم الحج ونحو ذلك" (أنجيب، 1989: 29)، وما اللغة العربية التي نكتب بها اليوم ونتحدّث بها في المناسبات واللقاءات الرسمية، ما هي إلا نتاج للاشتباك والصراع التي كان قائماً بين لهجة قريش وباقي اللهجات العربية التي كانت موجودة بشبه الجزيرة العربية، فاللغة العربية الفصيحة استمدّت أبرز خصائصها من لهجة قريش (أنيس، 1999: 31-35)، وبهذه اللغة العربية المشتركة بين باقي اللهجات الأخرى أنزل الله القرآن الكريم على عبده محمد صلى الله عليه وسلم.

ب- اختلاف البيئات الجغرافية: فمتى اختلفت البيئة الجغرافية فإنّ ذلك يؤدّي إلى اختلاف في اللغة، " فإذا كان أصحاب اللغة يعيشون في بيئة جغرافية تختلف فيها الطبيعة من مكان لآخر، كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن بقعة أخرى، بحيث ينشأ من ذلك انعزال مجموعة عن الناس من مجموعة أخرى، فإنّ ذلك يؤدّي تدريجياً إلى تكريس الخصائص اللهجية الشخصية عند الأجيال المتأخّرة، فتحدث لهجات لها ميزاتها العامة " (الفرج، 2015: 78)، فإذا انتشرت جماعة لغوية ما على رقعة جغرافية واسعة تختلف طبيعتها، فإنّه مع مرور، ستصاب تلك اللغة بنوع من التحوّل والتغيّر وستتفرّع إلى لهجات متعدّدة، وبالتالي ستنشأ جماعات لسانية لها خصائصها المشتركة والمتميّزة من حيث استعمالها للغة من حيث الصوت أو المفردات أو التراكيب... وبالتالي تصبح هذه الجماعة متميّزة ومختلفة عن باقي الجماعات اللسانية المجاورة لها.

ج- تنوّع الظروف الاجتماعية: فلكل مجتمع قوانينه وظروفه الخاصة، في المعيشة وفي التفكير... ولكل شعب ملامحه الثقافية وعاداته الخاصة التي تختلف عن الآخر، فنظام المجتمع واختلاف طبقاته وتغيّر أحواله قد يسبّب تفرّع لغته إلى لهجات، " فالطبقة الأرستقراطية - مثلاً- تتّخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الدنيا في المجتمع، وهذه العامية الخاصة تتطوّر حيناً بعد حين، فتصل إلى أجيال لاحقة كواقع مفروض، وربما كانت من قبل مختلفة لإبراز التميّز أو الهيمنة على طبقات اجتماعية تحت سقف خاص" (الفرج، 2015: 88).

د- الاتصال البشري وآثاره (الهجرة / الصراع اللغوي): فاتصال البشر من رقعة جغرافية إلى أخرى من أجل منافع ما (العمل أو التجارة، أو البحث عن الأمن...) أو للسيطرة أو الاستعمار مثلاً " فقد يغزو شعب من الشعوب أرضاً يتكلّم أهلها بلغة أو لهجة خاصة فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوّة، والنتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاءً تلماً، أو ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من مزيج من اللغتين، تشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك" (الفرج، 2015: 89)، هو أيضاً انتقال واتصال بين لغة مع أخرى، وبالتالي احتكاك اللغات بعضها ببعض مما يولّد صراع بينهما، وهذا ما يؤدي إلى اختلاف اللغات عن أصلها بما يفرّقها إلى لهجات (هلال، 1993: 41-44)، وقد حدّثنا التاريخ عن صراع العربية والآرامية في العراق والشام، وانتهى فصل الصراع بغلبة العربية كما صَرَعَتِ القبطية في مصر، والبربرية في بلاد المغرب، والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة، وكذلك يكون الصراع بين اللهجات (الراجحي، 1992: 23).

2/ الجماعة اللسانية:

1- مفهومها لغة واصطلاحًا: جرى العرف أن يقوم الدراس لعلم من العلوم أو لمفهوم من المفاهيم بتبيان ماهية مصطلحه، وضبط حدود ميدانه، ومن هذا المنطلق ارتأيت أن ألتمس تعريفاً لهذا المصطلح في شقيه اللغوي والاصطلاحي، فبدأت بلفظ الجماعة لغة ثم مفهوم الجماعة اللسانية اصطلاحاً.

أ- الجماعة في الأصل اللغوي: كلمة مشتقة من "(جَمَعَ) الْجِيمُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى تَضَامِّ الشَّيْءِ. يُقَالُ جَمَعْتُ الشَّيْءَ جَمْعًا" (ابن فارس، 1979: 479)، والجماعة مأخوذة من الاجتماع وهو ضد التفرّق، يقال:" جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة فاجتَمع، وجمَعْتُ الشَّيْءَ إِذا جِئْتَ بِهِ من هاهنا وهاهنا، وتجمَّع الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيضاً من هاهنا وهاهنا، والجَمْع: اسْمٌ لِجَمَاعَةِ النَّاسِ، والجَماعةُ والجَمِيع والمَجْمع والمَجْمَعةُ: كالجَمْع وَقَدِ اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي غَيْرِ النَّاسِ حَتَّى قَالُوا جَماعة الشَّجَرِ وَجَمَاعَةُ النَّبَاتِ" (ابن منظور، 2004: 53)، فالجماعة في اللغة إذا أريد بها جماعة الناس، فهم القوم المجتمعون على أمر ما.

ب- مفهوم الجماعة اللسانية في الاصطلاح: لفظ الجماعة متعدّد المعاني، فهو يأخذ معنى صفة هذه الجماعة، فنجد أحياناً معنى الجماعة الدينية، أو الجماعة التاريخية أو الجماعة اللسانية...الخ، أما عن الجماعة اللغوية فهي " مصطلح يستخدم للدلالة على جماعة تعرف على أساس اللغة"(هدسون، 1990: 45)، وجاء في معجم اللسانيات لجون دوبوا (Jean Dubois) ما يلي**:** "يتم تعريف الجماعة اللسانية على أنّها مجموعة من البشر يستخدمون نفس اللغة أو نفس اللهجة في لحظة معيّنة، من خلالها يتم التواصل مع بعضهم البعض، وحينما تكون الأمّة أحادية اللغة فهي تشكّل مجتمعا معيّناً، في حين أنّ الجماعة اللغوية لا تكون متجانسة، فهي تتشكّل دائماً من عدد كبير من المجموعات التي لها سلوكيات لغوية مختلفة، فشكل اللغة التي يستخدمها أعضاء المجموعات يميل إلى التعدّد بطريقة أو بأخرى في الصوت أو التركيب أو المعجم، وهذه الاختلافات تعود إلى الأصل أو الإقامة أو التكوين الاجتماعي الثقافي (Socioculturelle)، فالجماعة اللسانية إذن ليست متجانسة أبداً، فهي تنقسم إلى عدّة جماعات لغوية.

وبهذا يمكننا القول أنّ السكان الذين يستخدمون لغة معيّنة، فهم ينتمون إلى لغة محدّدة تشكّل جماعة لسانية، وبالمثل أمّة بأكملها، فمتحدّثي اللغة الفرنسية بمقاطعة الكبيك (Québécois) ومتحدّثي الفرنسية بفرنسا، أو ببساطة أعضاء مهنة ما الذين يستخدمون اللغة العامية (Argot)، أو المفردات التقنية، وبالمثل مجموعة معيّنة على سبيل المثال طلاب المدارس الثانوية أو الجنود العسكريين في لحظة معيّنة"(Dubois et autre, 1994: 93) ، ومما يمكن ملاحظته على دولة كندا أنّها كانت مسرحاً للتنافس الديموغرافي بين مجتمعين لغويين (الفرنسي والإنكليزي)، إذ كانت غاية هذا التنافس تهدف إلى التفوّق العددي، وبالتالي تفوّق أو إحلال لغة على أخرى ، وقد أشارت إحصاءات سنة 1971 إلى الجدول التالي (زكريا، 1993: 25):

	العدد	النسبة المئوية
سكان كندا	٢١ ٥٦٨ ٣١٠	٪١٠٠
إنكليز	١٤ ٤٤٦ ٢٣٥	٪٦٧
فرنسيون	٥ ٥٤٦ ٠٢٥	٪٢٥,٧

أما في معجم اللغويات والصوتيات (A Dictionary of Linguistics and Phonetics) لصاحبه ديفيد كريستال (David Crystal) فقد ورد عن الجماعة اللغوية ما يأتي: " هو مصطلح يصف مجتمعاً بشرياً يمكن تحديده اجتماعياً أو إقليماً، قابلاً للتعريف محلياً واجتماعياً والتي يمكن أن تعرّف من خلال استعمال لغة محكية مشتركة أو تنويع لغوي، ويمكن لهذا المجتمع أن يختلف من حيث الحجم، أي من مجموعة صغيرة من المتحدّثين إلى أوطان بأكملها" (Crystal, 2008: 446)، أو إلى مجموعات تتجاوز الحدود الوطنية مثل متحدّثي اللغة الروسية في قارة آسيا، أي سكان الجمهوريات السوفيتية السابقة.

في حين يعرّفها باشمان (Bachmann): بقوله: " مجموعة من الأشخاص المتكلّمين الذين يتشاركون في الموارد" (Bachmann, 1981: 300)، أي مورد اللغة بحيث يتشاركون في نفس الأساليب والاستخدامات اللغوية أو

اللهجيّة المتنوّعة، أما عند جون ليونز (John Lyons) فهي " كل الناس الذين يستخدمون (لغة أو لهجة) بعينها" (هدسون، 1990: 45)، وليس بالضرورة أن تكون لغة واحدة مشتركة بين جميع الناس، إذ ربما يكون هناك أفراد مزدوجي اللغات، أو متعدّدو اللغة أيضاً، أو يتكلّمون عدّة لهجات في إقليم جغرافي معيّن، وتعرّف أيضاً على أنّها "مجموعة من الناس يجمعهم أمر لغوي مشترك، وقد يكون ذلك لغة أو لهجة أو تعاملاً بواسطة الكلام، أو مجموعة من (النوعيات) أو الوحدات اللغوية"(هدسون، 1990: 50)، وفضلاً على ذلك فإنّ كلمة (جماعة) تعني ضمناً وجود أكثر من خاصيّة مشتركة واحدة، وعندما نطلق كلمة جماعة على مجموعة من الناس " ينبغي أن تتميّز هذه المجموعة عن غيرها بأكثر من خاصية واحدة، ويجب أن تكون بعض هذه الخصائص هامة من منظور اللسانيات الاجتماعية" (هدسون، 1990: 50).

إذاً فالجماعة اللسانية هي مجموعة من الناس يستعملون نفس اللغة أو نفس اللهجة، حيث عن طريقها يتواصل جميع أفرادها، ومع ذلك فالمجتمع اللغوي ليس متجانساً دائماً، لأنّه متكوّن من جماعات بشرية ذات سلوكيات اجتماعية وثقافية مختلفة في المفردات (vocabulaire) والنطق (prononciation)، إذن فلا يمكن أن يكون هذا المجتمع متجانساً وهو بحد ذاته مجتمعاً لغوياً، حتى إنّنا لنجد داخل المجتمع اللغوي الواحد اختلافات متعدّدة ومتباينة، ولكن هذه الاختلافات وبعد المسافة بين مجتمع وأخر قد لا يغيّر ولا يعكّر الإحساس بالانتماء، كما هو الحال بالنسبة لمتحدّثي اللغة الفرنسية بمقاطعة الكبيك (Québécois) بدولة كندا ونظرائهم الفرنسيين (les français) بفرنسا، فهذا التباين وهذا التنوّع يعتبر نقطة إضافة وفائدة لهذا المجتمع اللغوي.

ومعلوم أنّ معقل الفرنسيين هو مقاطعة الكبيك، وقد أظهرت إحصاءات منطقة الكبيك الجداول التالية (زكريا، 1993: 25):

إحصاء سنة 1971:

	لغة فرنسية	٪	لغة إنكليزية	٪	لغات أخرى	٪
مقاطعة كيبيك	٤ ٨٦٧ ٢٥٠	٨١	٧٨٩ ١٨٥	١٣	٣٧١ ٣٣٠	٦
مونتريال	١ ٨١٩ ٦٤٠	٦٦	٥٩٥ ٣٩٥	٢٢	٣١٨ ١٨٠	١٢
مدينة كيبيك	٤٥٨ ٤٣٥	٩٥	١٨ ٠٣٥	٤	٤ ٠٣٠	١

إحصاء سنة 1976:

	لغة فرنسية	٪	لغة إنكليزية	٪	لغات أخرى	٪
مقاطعة كيبيك	٤٩٨٩ ٢٤٥	٨٠	٨٠٠ ٦٨٠	١٣	٤٤٤ ٥٢٥	٧
مونتريال	١٨٣١ ١١٥	٦٥	٦٠٧٥٠٥	٢٢	٣٦٣٨٦٥	١٣
مدينة كيبيك	٥١٣ ٨٩٥	٩٥	١٥٧٤٥	٣	١٢٥١٥	٢

إحصاء سنة 1981:

	لغة فرنسية	٪	لغة إنكليزية	٪	لغات أخرى	٪
مقاطعة كيبيك	٥ ٣٠٧ ٠١٠	٨٢	٧٠٦ ١١٥	١٠,٩	٤٢٥ ٢٧٥	٧
مونتريال	١ ٩٣٦ ٢١٥	٦٨	٥٢٠ ٤٩٠	١٨	٣٧١ ٦٣٥	١٣
مدينة كيبيك	٥٥٤ ٧٧٥	٩٦	١٥ ٥٨٥	٣	٥ ٧٠٢	١

وهناك من يتجنّب أصلاً ذكر (الجماعة اللسانية)، ولكنّه يشير إلى جماعات موجودة داخل المجتمع لها ميزاتها الكلامية، وهذه المجموعات هي التي يدرك الفرد وجودها من خلال الاتصال مع بقيّة عناصرها (زكريا، 1993: 47)،

فالاشتراك في اللغة " هو الذي يسهّل عملية التفاهم المتبادل، وبذلك يسهّل نشأة أي علاقة اجتماعية إلى أقصى حد ممكن. ولكنّها في حد ذاتها لا تعني وجود جماعة، وإنّما فقط تسهيل التعامل في داخل المجموعة المعنية، أي إتاحة الفرصة لنشأة مجتمعيات. ويتحقّق ذلك بادئ ذي بدء بين الأفراد، ليس بوصفهم متحدّثين في اللغة، ولكنّهم أصحاب مصالح من نوع آخر: التوجّه تبعاً لقواعد اللغة المشتركة ما هو إلا وسيلة للتفاهم، وليس محتوى معنى علاقات اجتماعية" (فيبر، 2011: 78)، وهذا ما هو موجود لدى كثير من الجماعات اللغوية التي تعيش وتتواصل مع بقية أفراد المجتمع الذي تعيش فيه، وهي تعد أيضاً تركيبة من تركيبات المجتمع الكبير الذي تنتمي إليه، والجدول الآتي يلخّص الجماعات اللغوية الموجودة في الوطن العربي في أوائل التسعينيات (غدنز، 2005: 317):

	متغيرات إثنية أخرى			
الجماعة ـ الأقلية اللغوية	العدد الإجمالي(*) في الوطن العربي	الدين لدى أغلبيتهم	الموطن الأصلي	مناطق التركيز الحالية بترتيب أهميتها
الأكراد	5،000،000	مسلمون	نفس الموطن الحالي	العراق ـ سوريا
الأرمن	1،000،000	مسيحيون	أرمينيا (تركيا والاتحاد السوفياتي)	لبنان ـ سوريا ـ العراق ـ مصر
الآراميون والسريان	125،000	مسيحيون	نفس الموطن الأصلي	سوريا ـ لبنان ـ العراق
التركمان والشركس	125،000	مسلمون	جنوب الاتحاد السوفياتي تركيا	الأردن ـ سوريا
الأتراك	125،000	مسلمون	تركيا	سوريا ـ العراق
الإيرانيون	350،000	مسلمون	إيران	العراق وأقطار الخليج العربي
اليهود الغربيون	3،500،000	اليهودية	أوروبا والأمريكيتان	فلسطين المحتلة (إسرائيل)
القبائل الزنجية	5،500،000	وثنيون	نفس الموطن الحالي	جنوب السودان وجنوب المغرب
البربر	15،000،000	مسلمون		بلاد المغرب ـ ليبيا
الجملة	29،725،000			

(*) معظم هذه الأرقام تقديرية، وقد توصلنا إليها من خلال آخر إحصاء رسمي مع إضافة نسبة للزيادة الطبيعية تعادل نسبة الزيادة الطبيعية لإجمالي السكان في الأقطار التي تعيش فيها هذه الجماعات للسنوات التالية لآخر إحصاء، أو أخذ المتوسط الحسابي لأدنى وأقصى التقديرات المذكورة في المراجع الموثوقة حول الموضوع.

إذ ليس من الضروري أن ينتمي كل سكان المجتمع إلى هذه المجموعات، ولكنها قد تشكّل جزءاً أو تركيبة من تركيبات هذا المجتمع اللساني، ومن الباحثين من تبنّى هذا المدخل نذكر منهم روبرت لي باج (Robert le page) الذي يقول: " يقوم كل فرد بإيداع أنظمة سلوكه الكلامية بحيث يتماثل وأنظمة الجماعة أو الجماعات التي يودّ، من وقت لآخر، أن ينتمي إليها" (هدسون، 1990: 48)، وعلى عكس الجماعات الكلامية التي ليس بالضرورة أن يكون بينها اتفاق وانسجام، فإنّ هذه المجموعات تتراكب وتتشابك فيما بينها لا محالة، فقد يتعرّف الفرد مثلاً على مجموعات بعينها على أساس الجنس والسن والموقع الجغرافي واللون(هدسون، 1990: 49)، و يقوم دوايت بولينجر (Dwight Bolinger) بتحديد هذه الجماعات بقوله: " ليست هناك حدود للوسائل التي يستطيع بها الناس أن يتجمّعوا في شكل مجموعات، وذلك من أجل التعرّف على الذات والإحساس بالأمن والمكسب والمتعة والعبادة وأية غايات أخرى مشتركة. وبالتالي فليست هناك حدود لعدد ونوعية الجماعات الكلامية القائمة في مجتمع بعينه" (هدسون، 1990: 47)،

ومن خلال هذا الطرح فبإمكاننا أن نتوقّع أنّ سكان أي مدينة أو قرية أو حتى دولة بأكملها أن يظمّوا عدداً هائلاً من (الجماعات الكلامية)، وغالباً ما تتطابق الانتماءات إلى هذه الجماعات وتتداخل، أي وجود عدد من الجماعات المستقلة في المجتمع والتي يتحتّم على عالم اللغة الاجتماعي التعرّف عليها، من خلال انتماء الفرد إلى جماعة أو أخرى.

3- معيار الاتصال داخل الجماعة اللسانية:

لقد أضاف شارل هوكيت (Charle Hockett) معيار الاتصال داخل الجماعة كشرط لوجود الجماعة الكلامية، فحتى لو تحدّثت جماعتان بنفس اللغة دون أن يكون بينهما اتصال، فإنّ ذلك يجعلهما جماعتين كلاميتين منفصلتين (هدسون، 1990: 46)، فمن خلال هذا الطرح نرك أنّ عملية الاتصال بين الجماعة اللغوية الواحدة أو بين المجموعات التي تتكلّم نفس اللغة شرط ضروري ومعيار مهم لوجود الجماعة اللسانية، فبواسطته يتم نقل معلومات ومهارات واتّجاهات من شخص إلى آخر، ومن شخص إلى جماعة أو من جماعة إلى أخرى، ومن خلاله يتم التبادل الفكري والوجداني والسلوكي بين الناس.

ويقترح هوكيت تعريفاً للجماعة اللسانية على أساس التفرّد اللغوي، أي أن متحدّثي أي مجتمع لغوي معيّن يتكلّمون لغة مشتركة، ووفقاً لوجهة النظر هذه سيكون هناك مجتمع واحد فقط يتحدّث الفرنسية، ومجتمع واحد يتحدّث الألمانية، يتحدّث الانجليزية... بغض النظر عن الشعوب التي تشكّلهم، وبعبارة أخرى فإنّ الإنجليزيين والأمريكيين، والهنود والكنديين، أو النيجيريين (من الأقاليم الناطقة باللغة الانجليزية) يشكّلون مجتمعاً لغوياً واحداً (Hockett, 1958: 40)، لكن إذا كان الحال على هذه الصورة، فكيف يمكن أن نعتبر سكان الدانمرك والسويد الذين يقال عنهم أنّهم لا يتكلّمون نفس اللغة ويفهمون بعضهم البعض؟ باعتبار أنّ اللغة السويدية قريبة من الدانمركية (Danois)، حيث من الممكن للفرد للدانمركي أن يفهم المعنى العام للعبارات، لكن العكس غير صحيح، وهذا راجع لكون اللغة الدانمركية لها طريقة نطق مختلفة تبعدك عن المعنى الحقيقي، ومن هنا نستطيع الحكم على معيار القدرة على الفهم من قبل أفراد المجتمع بالقول على أنّه لا يبدو كافياً من أجل خلق مجتمع لغوي واحد.

ويعرّف ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield) الجماعة الكلامية متّخذاً قضية الاتصال كشرط أساسي بقوله: " إنّ الجماعة الكلامية هي مجموعة من الناس تتعامل وتتّصل عن طريق الكلام" (Bloomfield, 1970: 44)، لكن ما يلاحظ على هذا التعريف أنّه غير فعال في وصف واقع مجموعة من المتكلّمين، الذين رغم أنّهم يتشاركون في نفس القانون اللغوي، فإنّهم يتأثّرون بالتنوّع الجغرافي والاجتماعي والمهني، وبتنوّع حالات الاتصال التي لديهم، كما أنّه قد يوجد بعض الأفراد في الجماعة اللغوية الواحدة يستخدمون اللغة نفسها، بينما يتعامل الآخرون بلغة مغايرة، فـ"... المجتمع متولّد عن طريق تواصل و/ أو تكامل رمزي فيما يتعلّق بإمكانية الاتصال، مع مراعاة عدد اللغات أو اللهجات المستخدمة " (Fishman, 1971: 43-49)، إذن فاللغة التي يتواصل بها أفراد الجماعة تختلف وتتباين على حسب التنوّع الجغرافي والاجتماعي الذي يميّزهم.

4- الجماعة اللسانية بين أحادية اللغة والتعدد اللغوي:

ينحو جون جمبرز (John Gumperz) منحاً مغايراً لتعريف بلومفيلد معالجاً المشكلة بوضوح فيقول: "تعرف الجماعة (اللغوية) على أنّها مجموعة اجتماعية قد تكون أحادية اللغة (Monolingue) أو متعدّدة اللغات (Multilingue)، تتماسك كجماعة واحدة من خلال تواتر أنماط التعامل الاجتماعي، ويفصلها عن الجماعات الأخرى في المناطق المجاورة ضعف (خطوط الاتصال)" (Gumperz, 1972 : 35-71) ، فعلى سبيل المثال دولة بلجيكا التي تتعايش فيها تجمّعات متعدّدة ومختلفة لغوياً وإتنياً هي (غلاب، 1998: 257):

أ- أكثرية تتكلّم اللغة الفلامندية (Flamand) في الشمال (56%).

ب- سكان يتكلّمون اللغة الفرنسية (Français) في الجنوب (32%).

ج- أقلية تتكلّم الألمانية (Allemand) في الشرق (1%).

د- مجموعة سكانية مختلطة في الوسط تتكلّم اللغتين في محيط العاصمة بروكسل (Bruxelles) (11%).

وفي سنة 1970 قدّم رئيس الوزراء غاستون إيسكنس (Gaston Eyskens) مشروعاً يقسّم البلاد إدارياً إلى ثلاث مناطق (هدسون، 1990: 46-47):

1- الفلامنديون في الشمال.

2- الوالونيون في الجنوب.

3- منطقة بروكسل المختلطة في الوسط.

هذا على مستوى الدولة التي تتألف من مجموعات متعدّدة اللغات، أما على مستوى الفرد فلنضرب مثالاً على ذلك بمواطن سنغالي تكون لغته الأم هي لغة بيول (le Peul)، واللغة المشتركة ولوف (le Wolof)، واللغة الرسمية لبلده الفرنسية، فنقول عندئذ أنّ واقعه ثلاثي اللغات، فهو حسب لحظات حياته اليومية، أو حالات التواصل سوف يتناسب مع واحدة من هذه اللغات على حسب المجتمع، فالشخص هنا يحدّد انتماءه إلى مجتمع لغوي وفقاً للوضع الاجتماعي أو الاتصال الذي يعيش فيه.

ففي دولة أحادية اللغة مثل فرنسا، والتي لا تعترف إلا بلغة رسمية واحدة فحسب على كل ربوع وطنها الشاسع، وبالتالي فهي تعترف بمجتمع لغوي رسمي واحد*، بالإضافة إلى ذلك فهي تنفق الآن " على ما تسميه (الفرانكوفونية) بمقدار ما يقرب مما تنفق على الدفاع العسكري عن سيادتها. قد يكون ذلك على حساب لغات الآخرين – ومنها لغات المستعمرات القديمة والمغرب العربي من بينها- ولكنّها بذلك تدافع عن الحضارة الفرنسية – بكل أبعادها- عن طريق الدفاع عن اللغة الفرنسية والتمكين لها " (زكريا، 1993: 27) .

وأحياناً نجد أكثر من مجتمع لغوي في دولة واحدة، لكنّه يستعمل لغة رسمية واحدة هي لغة الإدارة والتعليم، والقضاء... وبالتالي يمكن للفرد أن ينتمي إلى العديد من المجتمعات اللغوية الموجودة، ولكن بصفة عامة إلى المجتمع الرسمي وإلى مجتمع غير رسمي للغة الإقليمية (كالفرنسية والبروتانية (Bretagne)، والفرنسية والباسكية، والفرنسية و الأمازيغية...الخ).

ولجمبرز تعريف آخر أحدث من المفهوم السابق، يعرّف فيه الجماعة الكلامية بقوله: " أي تجمّع إنساني يتميّز بكثرة وانتظام التعامل بين أفراده، وذلك بواسطة مجموعة من الرموز الكلامية المشتركة بينهم، ويختلف هذا التجمّع عن غيره من التجمّعات البشرية الأخرى باختلافات هامة في استخدام اللغة " (زكريا، 1993: 28)، فالجماعة اللسانية عند جيمبرز ما هي إلا مجموعة من الأفراد يتعاملون فيما بينهم بواسطة رموز كلامية مشتركة، بحيث تختلف هذه الجماعة مع جماعات لغوية أخرى في استخدام هذه اللغة.

5- الجماعة اللسانية من منظور العلاقات الفردية:

ومن حيث الدراسة لهذا المفهوم يذهب هدسون مذهباً مغايراً، فهو لا يركّز على الجماعة في حدّ ذاتها، بل على العلاقات الفردية التي تنظّمها، يقول: " في بعض الحالات، أنّه من الأفضل أن نحلّل العلاقات الفردية (network of individual relations) بدلاً من تحليلها على أساس الجماعات التي قد ينتمون إليها أو لا ينتمون. أو بعبارة أخرى، فمن المحتمل ألا يكون للجماعات الكلامية وجود حقيقي في المجتمع إلا في صورة نماذج أصول في عقول الناس. وفي هذه الحالة، يصبح البحث عن التعريف (الحقيقي) للجماعات الكلامية بحثاً عن سراب" (زكريا، 1993: 52). فهدسون

يركّز على الفرد في علاقته مع أفراد الجماعة، بدل التركيز على الجماعة في حدّ ذاتها، فلولا العلاقات التي ينشؤها الأفراد فيما بينهم لما كان هناك ظهور للجماعة، لذلك فهو يجد صعوبة واستحالة وضع تعريف للجماعة اللسانية، ويقر على أنّ البحث فيها هو بحث عن سراب.

6- الجماعة اللسانية من منظور وليام لابوف:

هناك من التعريفات من ركّز على المواقف (Attitudes) المشتركة في اللغة، وهو تعريف قدّمه لنا اللساني الأمريكي وليام لابوف (William Labov) في قوله : " لا تعرّف (الجماعة الكلامية) على أساس ما بين أعضائها من اتّفاق ملحوظ في استخدام عناصر لغوية معيّنة، قدر ما تعرّف على أساس اشتراك أفراد الجماعة في مجموعة من المعايير المشتركة. ويمكن ملاحظة هذه المعايير في الأنماط العلنية للسلوك التقويمي، ومن خلال الأنماط الموحّدة المجرّدة للتباين، والتي لا تتغيّر أو تتبدّل في مستويات بعينها من استخدام اللغة" (Labov, 1976: 338)، والمقصود من القول أنّه لا يوجد جماعة ما لها نفس الاتفاق والاتّجاه الموحّد والانسجام التام من حيث استخدامها للّغة، بل هناك تغيّرات واختلافات وتنوّعات في استعمالها من قبل أفرادها، فالجماعة اللسانية من خلال هذا الطرح ما هي إلاّ مجموعة من المتغيّرات المعروفة للغة الواحدة أو أكثر يستخدمها أفراد الجماعة ويتواصلون بها.

إن علم اللغة الاجتماعي التباييني أو التنوّعي **(**variationniste**)**، الذي أسّسه وليام لابوف، والذي عرّفه على أنّه علم لغة يأخذ بعين الاعتبار عدم تجانس اللغة، وهذه اللسانيات مهتمة باللغة كما هي أي حين يتحدّث بها داخل مجتمع لغوي ما، واللسانيات الاجتماعية لديه لا يمكنها أن تفرض تجانساً في البنى النحوية والتركيبية، ومن الناحية المعجمية. فهو بهذا الطرح يعد المؤسّس الحقيقي للسانيات الاجتماعية (la sociolinguistique) بكتابه الذي نشره سنة 1966 تحت عنوان (التنضيد الاجتماعي للانجليزية في نيويورك) في حين يعد فرديناند دي سوسير (De Saussure) الأب الحقيقي للسانيات العامة.

لقد أثبت لابوف صعوبة فصل اللغة عن المكوّن الاجتماعي الأساسي فيها، ومن ثم أشار إلى أهمية ربط بنية اللغة من اللغات بالسياق الاجتماعي العام الذي تنشأ فيه تلك اللغات، لدرجة استبعد فيها أي إمكانية للفصل بين اللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي، وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإنّ اللسانيات ذات بعد اجتماعي (بوفرة، 2015: 11)

لقد اشتهر هذا العالم اللساني بدراسته اللغوية الاجتماعية، والذي يحاول تفسير التغيّر اللغوي على أساس تحرّكات المجموعات البشرية ذات الصّلة بالظاهرة اللغوية المعنيّة، حيث اعتمد فيها على المحكي الشفهي بشكل خاص. أما عن تعريفه للجماعة اللسانية فقد جاء في قوله: "يتم تعريف الجماعة اللغوية على الأقل من خلال اتّفاق واضح فيما يتعلّق باستخدام عناصر اللغة أو من خلال المشاركة المشتركة في مجموعة من المعايير، وهذا يعني أنّه من الخطأ تصوّر المجتمع اللغوي كمجموعة من المتحدّثين باستخدام نفس الأشكال. فمن الأفضل وصفها بأنّها مجموعة تشترك في نفس معايير اللغة" (Labov, 1976: 187)، فلابوف يعتبر أنّ المبدأ الأساس هو أن المواقف الاجتماعية اتّجاه اللغة موحّدة للغاية في الجماعة اللسانية، مما يعني أن المجتمع اللساني قد لا يتطابق مع جميع المستخدمين الذين يتشاركون في نفس اللغة: هذا هو الحال كما سبق وأن قلنا على الفرانكفونية.

الملاحظة المتناقضة لدى وليام لابوف:

يقول:" إنّ الغرض من البحث اللغوي في موضوع الجماعة اللغوية هو الكشف عن الكيفية التي يتكلّم بها الأشخاص عندما لا يتم ملاحظتهم يتكلّمون بشكل منتظّم، لكن الطريقة الوحيدة للوصول إلى هدف

البحث هو مراقبة هؤلاء الأشخاص بشكل منتظم" (Labov, 1976: 290)، فهو بهذه الملاحظة الهامة والدقيقة الخاصة بعملية البحث اللغوي داخل الجماعة اللسانية يريد أن يؤكّد على أنّ كشف وسبر أغوار اللغة داخل المجتمع لا

يتم إلا بتتبع كلام الأفراد بشكل منتظّم، فهو بذلك يولي اهتماماً كبيراً بالجانب المحكي والشفاهي لدى الأفراد داخل مجتمعاتهم.

7- الآليات والإجراءات المتّبعة في دراسة الجماعة اللسانية:

تمهيد: إنّ جميع لغات العالم عرضة للتغيّر والتنوّع، أي أنّها لا تملك مجموعة واحدة ومستقرة من القواعد، وهذه المتغيّرات تختلف باختلاف المعايير، فالمتحدّثون الذين ينتمون إلى نفس الجماعة اللسانية ليس لديهم نفس الاستخدامات اللغوية حتى وإن كانوا يستخدمون لغة واحدة مشتركة، وعلى حسب وليام لابوف الذي يعد أب المنهج التباييني أو التنوّعي (Variationniste) في علم اللغة الاجتماعي هناك أربعة أنواع رئيسية من الاختلافات المتعلّقة بهذه المتغيّرات.

أ- المتغيّر الأوّل: هو الاختلاف الزماني المؤقّت (diachronique) الذي جاء به دي سوسير (De Saussure)، وهذا النوع من الدراسة لا ينتمي مباشرة إلى علم اللغة الاجتماعي، لأنّه يشير إلى تغيّر وتطوّر زماني للغة، ونحن نتحدّث عن الاختلاف اللغوي عند معنى أو شكل معيّن (صوت واحد، أو معجم، أو مورفيم، أو بناء) لم يعد استخدامه كما هو موجود في اللغة الفصيحة.

ب- المتغيّر الثاني: التنوّع المتفرّع (diatopique) (جغرافي، إقليمي)، "فهذا المتغيّر يلعب على المحور الجغرافي، أي تمييز اللغة وفقاً للمناطق الجغرافية، من أجل تحديد الاستخدامات الناتجة عن ذلك" (Moreau, 1997: 248)، فلكل إقليم من الأقاليم لهجة خاصة به، وليس من الضروري أن تكون هذه اللهجات متباعدة أو متقاربة فيما بينها.

- اللهجات: جميع اللهجات المتفرّعة عن اللغة المعيارية.
- الإقليمية: لكل إقليم ما خصائصه اللغوية (معظمها معجمية).

ج- **المتغيّر الثالث:** الاختلاف الاجتماعي أو الخصائص الاجتماعية للمتحدّثين (diastratique)

- يتعلّق بالهيكل الاجتماعي والديموغرافي للمجتمع فـــ(العامل لا يتكلّم مثل رئيس الجمهورية)، أي أنّ هذا المتغيّر يدرس الاستخدامات اللغوية لدى المجموعات والفئات المختلفة الموجودة في المجتمع.
- التنوّع المنظم وفقاً للأقسام الديموغرافية، وهو الذي يعتمد فيه على الجنس (ذكر أو أنثى) والعمر والعرق....الخ، فكل قسم من هذه الأقسام لغته الخاصة به، فكما يقال اللغة بأهلها لا بنفسها، فلغة الذكر تختلف أحياناً عن لغة الأنثى من حيث الاستعمال، وكذلك هو الأمر مع لغة الشباب والكهول... فكل مجموعة من هؤلاء تصطلح لنفسها لهجة خاصة يشعر كل فرد من الأفراد الناطقين بها " بأنّ له في استعمال هذه اللهجة ذوقاً خاصاً متميّزاً من الناحية الصوتية ومن نواحي الصرف والتركيب والدلالة يعرف به، ويسهّل من خلاله تمييزه ونسبته إلى جماعته الجزئية" (ظاظا، 1971: 133).
- يدل التقسيم الطبقي على أساس العمر إلى تغيير مستمر في المجتمع اللغوي، فلغة الأطفال تختلف وتتنوّع عن لغة الشباب وعن لغة الكهول أيضاً، فلكل طبقة عمرية لغة خاصة بها
- ويدل التقسيم على أساس طبقات اجتماعية تسلسلية (Hiérarchie) إلى تقييم بعض أشكال اللغة، فاللغة تختلف من طبقة إلى أخرى، وبالتالي فلكل طبقة من الطبقات الاجتماعية لغتها الخاصة، سواء أكانت بمنحى تصاعدي أو تنازلي، ففي الطبقات الراقية مثلاً يكون الخطاب في غاية الأهمية وما دون ذلك فتقل أهميّته، ومن هنا يمكن القول أن اللهجات الاجتماعية لا تنشأ من تلقاء نفسها، بل تخلق وتبتدع بالتواضع والاتّفاق بين أفراد الطبقة أو الفئة الواحدة.

د- المتغيّر الرابع: وهو المتعلّق بالأنشطة التي يمارسها المتحدّثون **(Diphasique)** فلكل مهنة من المهن أو حرفة من

الحرف لغتها الخاصة بها، فلغة الصيادين تختلف عن لغة الزراعيين من حيث الألفاظ والتراكيب، ولغة القانون تختلف عن لغة الاقتصاد، فـــالألفاظ تدور في سهولة وخفة مع العمل اليسير، وتتعقّد بتعقّد العمل، ولقد دعا العالم اللغوي الأمريكي هاريس (Harris) إلى دراسة أثر النشاط الاجتماعي والمهني على الأسلوب اللغوي على وفق ذلك النشاط من صحافة وأدب أو علم أو حرفة (Harris, 1952: 18)، ورأى مالينوفسكي أن اللغة ضرب من العمل، وإنّ مواقف العمل هي التي تعمل على تنويع اللغة.

ه- **المتغيّر الخامس:** ويتم أحياناً إضافة بُعد آخر وفقاً للقناة (Chenal) – شفوية كانت أو مكتوبة- (Diamésique) هذا التصنيف يُؤخذ كمبدأ لتصنيف المتحدّث، فهو يتضمّن التباين بين الأشخاص أي حسب الأفراد أنفسهم، وعلى حسب الزوايا المختلفة، وعلى حسب الزمان والمكان، ووفقاً للوضع الاجتماعي، والاختلاف داخل الشخص نفسه على حسب استخدامه للغة في أنشطة مختلفة (الوضع، القناة)، فأنت لا تتحدّث بنفس الطريقة في جميع ظروف حياتك، فالشخص نفسه خلال اليوم الواحد يغيّر كثيرا من استخداماته اللغوية، وهذا بسبب محاوريه إنتاج/استقبال، وهذا اعتماداً على مكانته الاجتماعية، وتاريخه الخاص، وموقعه الجغرافي.

8- شروط دراسة اللهجة لدى الجماعة اللسانية:

تمهيد: اللهجة وليدة الجماعة ففيها تظهر وتبرز، وهي في أبسط تعريفها " الطريقة التي تتكلّم بها جماعة ما، والتي تميّزها عن سواها من الجماعات التي تتكلّم اللغة نفسها، واللهجة قد تكون اجتماعية تميّز طبقة أو جغرافية (أي إقليمية) تميّز إقليماً عن إقليم" (الخولي، 1982: 146)، وهي أيضاً مجموعة من الصفات اللغوية المشتركة بين أفراد بيئة ما، و هذه الصفات تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها.

إنّ الملاحظ من خلال هذا التعريف يدرك مدى العلاقة الموجودة بين اللهجة والجماعة، فهي علاقة منبت ومنشأ، وعليه فإنّ دراستها والبحث فيها لا يكون بأيّ حال من الأحوال بمنأى عن الجماعة، وعلى ذلك ينبغي في دراسة اللهجة لدى أي جماعة لغوية ما مراعاة أمور أهمّها ما يلي (هلال، 1993: 406-407):

1- إقامة الدراسة على أساس جغرافي.

2- الاعتماد على الجانب الوصفي، أي على ما هي عليه لا على ما ينبغي أن تكون عليه.

3-بيان الطبقة الاجتماعية التي يراد دراسة لهجتها من عمال أو فلاحين أو صناع أو حرفيين.

4- أن يكون الخبراء اللغويون الذين تؤخذ عنهم اللهجة من الناطقين بها ممن يمكن أن يمثّلوا اللهجة تمثيلاً صحيحاً، والكلام الطبيعي خير مثال صادق.

5- الاعتماد على النصوص في اللهجات الصوتية المكتوبة.

6-لا بد من تمحيص الحقائق لكل إقليم عدّة مرات لتوضيح الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية.. الخ التي تتزاحم وتتراكب.

7- أن تكون الاستبيانات مخطّطة بوضوح وتعاون المؤسسات المحلية.

هذه هي أهم الخطوات الإجرائية التي ينبغي على الباحث التقيّد بها ومراعاتها في خوض غمار البحث في الجماعات اللسانية، وفي علم اللهجات (Dialectologie) بصفة عامة، وينحصر هذا العمل في تقفّي أثر التغيّرات التي تصيب اللغة على مستوى من مستوياتها أو على جميع المستويات، والعمل على ربط هذا التغيّر اللساني بما يقابله من المتغيّرات الاجتماعية.

الخلاصة:

نخلص في نهاية دراستنا لمفهوم الجماعة اللسانية وآليات البحث فيها إلى مجموعة من النقاط نجملها فيما يلي:

1- يُعنى علم الاجتماع بدراسة حياة الأفراد داخل مجتمعاتهم الضيّقة والواسعة ومن جميع النواحي الاجتماعية، وباعتبار أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، فهو يدرسها من هذا الجانب، حيث يسمى هذا العلم بعلم اللغة الاجتماعي.

2- اللغة كما تبيّن لنا من خلال الدراسة، ظاهرة اجتماعية، ومكوّن أساسي للرابطة الاجتماعية، وهي مستقلة عن أفراد الجماعة الذين يتكلّمونها، غير خاضعة لهم، بل كل أفراد المجتمع خاضعون لها.

3- إذا كان علم اللغة أو اللسانيات يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، فإنّ علم اللغة الاجتماعي يدرس اللغة وعلاقتها بالمجتمع أي دراسة المتحدّثين وعلاقتهم بالمحيط الذي يعيشون فيه، فهي لا تدرس اللغة بمنأى عن المجتمع.

4- إن اللغة لا تحافظ على نظامها الخاص مع مرور الزمن، بل تتفرّع إلى لهجات مختلفة ومتعدّدة ، وهذا نظراً للظروف التي تطرأ عليها، سواء أكانت تاريخية أو اجتماعية، أم فردية.

5- إن الملاحظ للتعاريف السابقة لمفهوم الجماعة اللسانية يجده غير واضح ومعقّد، فهو يصعب تحديده وتبيان طبيعته ومداه، فحدودها تختلف في الواقع وفقاً لما نعتبره شائعاً بين الأفراد (لغة، لغة مضافة بمعايير أخرى أو أكثر)، فهذا المفهوم يبدو في بعض الأحيان رمزياً أكثر منه حقيقي.

6- تشكّل المتغيّرات الاجتماعية أهم المعايير أو الضوابط التي من خلالها يتم البحث عن أسباب المتغيّرات اللغوية.

- القرآن الكريم برواية حفص عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

1- أنجيب غلام نبي بن غلام محمد، (1989)، "الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية"، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، السعودية.

2- أنيس إبراهيم ، (1999)، اللهجات العربية، (دط)، دار الفكر العربي، الإسكندرية، مصر.

3- بوفرة عبد الكريم، (2015)، علم اللغة اجتماعي، مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب.

4- تيمور أحمد، (1973)، لهجات العرب، (دط)، لهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

5- ابن جني، (دت)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

6- الجوهري. (1987)، الصحاح، ط4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

7- الخفاجي ابن سنان، (1982)، سر الفصاحة، ط، 1دار الكتب العلمية، لبنان.

8- الخولي محمد علي، (1982)، معجم علم الأصوات، ط، 1مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، السعودية.

9- الراجحي عبده: (1992) - اللهجات العربية في القراءات القرآنية، (دط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
(1979)- فقه اللغة في الكتب العربية، (دط)، بيروت، لبنان.

10- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي الإشبيلي،(دت)، طبقات النحويين واللغويين، ط2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

11- الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى، (دت)، تاج العروس من جواهر القاموس، (دط)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،

12- زكرياَ ميشال، (1993)، قضايا ألسنيّة تطبيقية دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسية مع مقاربة تراثية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

13- الزمخشري، (دت)، الفائق في غريب الحديث والأثر، ط2، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

المعرفة، لبنان.
14- سيبويه، (1988)، الكتاب، ط3، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
15- السيوطي، (1998)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط1، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
16- ابن الشجري، (1991)، أمالي ابن الشجري، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
17- الطبري محمد بن جرير، (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
18- ظاظا حسن، (1971)، اللسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللغة ، القاهرة، مصر.
19- غِدِنْز أنتوني، (2005)، علم الاجتماع، ط1، ترجمة وتقديم: الصُيّاغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
20- غلاب عبد الكريم، (1998)، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
21- ابن فارس، (1979)، معجم مقاييس اللغة، (دط)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر.
22- الفرج علي عبد الله، (2015)، كائن اللغة، ط1، دار أطياف، السعودية.
23- فيبر ماكس، (2011)، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ط1، ترجمة: صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
24- ابن منظور، (2004،)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان.
25- نهر هادي، (1998)، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن.
26- هدسون، (1990)، علم اللغة الاجتماعي، ط2، ترجمة: محمود عباد، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
27- هلال عبد الغفار حامد، (1993)، اللهجات العربية نشأة وتطوّراً، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

28- Bachmann, C, Lindelfed J. et Simonin J, (1981), Langage et communication sociales, France..Credif-hatier, Paris
29. -Bloomfield. L, (1970), le Langage, Payot, , Paris, France
30 -Crystal, D, (2008), A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Six édition, Blackwell Publishry.
31 -Dubois Jean, et autre, (1994), Dictionnaire de linguistique, linguistique, Larousse, paris, France
32 -Fishman, (1971), sociolinguistique, Nathan
33.-Fishman.J.A (1972), The sociology of language. IN. Sociéty ROWLEY New buvy House
34 -of Gumperz J, ymes D,(eds), (1972), Dictionnaire, in sociolinguistics: the ethnography . Communication, New York, Holt, Rinehart et winston
35 -Hockett Charle. F. (1958), A course in Modern Linguistics, New York, Macmillan.
36 - Labov, W, (1976), Sociolinguistique, Minuit, Paris, France.
37- Mercellici.J.B, (1980), De la crise de Linguistique à la Linguistique de crise: la Sociolinguistique IN la pensée. N 209.
-38 MOREAU, M.L, (1997) Sociolinguistique. Concept de base, France.
-39 Zellin Harris, (1952), Discourse anaasis lange. London.